

الفتنة الطائفية... متى وكيف ولماذا؟

دكتور محمد عمارة

نشر
صحيفة المصريون
<http://www.almesryoon.com>

إعداد
موقع الإسلام والعالم
<http://www.islamegy.com>

مقدمة صحيفة المصريون

كتاب “ الفتنة الطائفية.. متي وكيف ولماذا؟” هو أحدث وأخطر كتب المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد عمارة. تحدث فيه عن أسباب وملامح التوتر الطائفي في مصر، ثم عاد بجذور القضية إلى الغزو الفرنسي النابليوني لمصر ومحاولة الاستعمار الفرنسي توظيف الورقة الطائفية عن طريق اجتذاب جماعات قبطية عميلة، ثم وقائع المؤتمر القبطي الذي رعاه الاحتلال البريطاني بعد ذلك، ثم تطور الملف بعد تنامي المخطط الامبريالي الصهيوني لتفتيت العالم العربي والعالم الإسلامي، مع وقفة مطولة أمام لعبة الأقليات في تمزيق النسيج الوطني، ثم تحدث عن التطورات التي لحقت بالكنيسة المصرية وكيف تحولت إلى دولة طائفية عنصرية وقد رصد في هذا الملف الخطير ملامح التنظير للمشروع العنصري للإحياء القومي القبطي، وكيف وصل هذا المشروع إلى حد الانقلاب على معالم المسيحية والرهينة، كما تحدث الدكتور عمارة عن الثمار المرة لما أسماه “الحلم العنصري المجنون” موجهًا نداءً إلى عقلاء وحكماء الأقباط المصريين أن تكون لهم كلمتهم ونضالهم من أجل حماية الكنيسة الوطنية أولاً من هذا المنزلق الخطير، ثم حماية الوطن نفسه من توابع هذا الحلم العنصري.

كتاب الدكتور محمد عمارة الجديد يضع الأصبع على موضع الجرح بصراحة ووضوح المشفقين على مستقبل البلد، بعيداً عن المجاملات، وبعيداً أيضاً عن المساجلات السياسية أو الدينية المتعصبة من هنا أو هناك.

المصريون
2008 - 10 - 14

1- هذه هي مصر

كانت مصر - منذ فجر التاريخ الإنساني - منارة للتوحيد الديني.. وللمدينة والحضارة.. ففي بروعتها - وعلى عهد آدم - عليه السلام - بعث الله نبيه ورسوله "إدريس" - عليه السلام - الذي كان ثالث الأنبياء - بعد آدم وشيث (1) -.. {واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} (مريم: 56 - 57)..
وكما أرسى إدريس - عليه السلام - قواعد التوحيد الديني، بمصر - منذ فجر التاريخ - كذلك أقام قواعد العلم والحكمة والمدنية والحضارة.. وبعبارة "ابن جلد" (بعد 372 هـ - 982م) : "فلقد رسم تمدن المدن، وجمع له طالبي العلم بكل مدينة، فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم قواعدها.. وعلمهم العلوم. وهو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم. فإن الله، عز وجل، أفهمه أسرار الفلك وتركيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب" (2)
فارتبط التوحيد بالمدينة والحكمة والحضارة في تاريخ مصر وتراثها منذ فجر التاريخ..
- وفي مصر، عاش عدد من الأنبياء والمرسلين، الذي جددوا عقيدة التوحيد في تاريخ المصريين القدماء..
ومن هؤلاء الأنبياء والمرسلين أبو الأنبياء إبراهيم الخليل - عليه السلام - الذي جاءها في عصر الهكسوس (1675 - 1580 ق.م)..
وكذلك يوسف - عليه السلام - في عهد الأسرة الخامسة عشرة - التي بدأ حكمها سنة 1675 ق.م - وأبوه يعقوب، وبنوه - عليهم السلام -..
كذلك، ولد ونشأ وبعث في مصر موسى - عليه السلام - وأخوه هارون - عليه السلام - (حوالي 1200 ق.م)..
ونزلت التوراة بلغة مصر - الهيروغليفية - قبل نشأة العبرة بقرون!..
وإلى مصر لجأ المسيح عيسى بن مريم - مع أمه - عليهما السلام - .. { وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } (المؤمنون: 50)
- وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - لحكمة بالغة - قد وصف أول أنبياء مصر - إدريس - "بالصديق"..
الوصف لإبراهيم: { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا } (مريم: 41) .. وليوسف { يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ } (يوسف: 46)..
ولأم عيسى: { وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ } (المائدة: 75)..
- ولقد ظل التوحيد - مع المدنية - يشعان على أرض مصر عبر تاريخها الطويل.. يتجددان فيها ليغالبا الوثنية والتخلف اللذين يأتينها في ركاب الغزاة..
ففي ربوعها ارتفعت مناجاة "أمنحبت الثالث" (1360 - 1397 ق.م) لله الواحد الأحد:
"أيها الموجدون أن توجد.
مصورٌ دون أن تصوّر.
هادي الملايين إلى السبل.
الخالد في آثاره اتلي لا يحيط بها حصر."

وفي ربوعها تجدد التوحيد مع "أمنحبت الرابع" (أخناتون) (1370 - 1349 ق.م) الذي ناجى الواحد الأحد:
"أنت إله، يا أوحده، لا شبيه لك.
لقد خلقت الأرض حسبما تهوى، أنت وحدك.
خلقتها ولا شريك لك.
أنت خالق الجرثومة في المرأة.
والذي يذراً من البذرة أناساً.
وجاعل الولد يعيش في بطن أمه.
مهدئاً إياه حتى لا يبكي.
ومرضعاً إياه في الرحم.
وأنت معطي النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقتة،
حينما ينزل من الرحم في يوم ولادته،
وأنت تفتح فمه دائماً،
وتمنحه ضروريات الحياة". (3)

- وعبر هذا التاريخ المصري الطويل - تاريخ - التوحيد والمدنية - غالبت مصر العديد من التحديات: غالبت بدواة الهكسوس.. ودمار الغزوة الفارسية التي قادها "قمبيز" (529 - 522 ق.م).. والقهر الحضاري والديني والثقافي والسياسي الذي فرضه الغرب الإغريقي - الروماني - البيزنطي على الشرق، مدة عشرة قرون - من "الإسكندر الأكبر" (356 - 325 ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - إلى "هرقل" (610 - 641 م) - في القرن السابع للميلاد - ..

- وعندما نجس الرومان - إبان هذه الغزوة - التوحيد - الذي جده المسيح - عليه السلام - .. رفعت مصر لواء النقاء لهذا التوحيد مع أسقف الإسكندرية "أريوس" (256 - 366 م) - الذي أعلن: "إن الله جوهر أزلي أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق، حتى "الكلمة" فإنها، كغيرها من المخلوقات، مخلوقة من لا شيء. وأن المسيح لم يكن قبل أن يولد.. وأن الله قد نجاه من الصلب - الذي وقع على الشبيه - .." ولقد ظل هذا التوحيد يغالب شرك التثليث والوثنية حتى ظهر الإسلام، وجاءت الفتوحات الإسلامية (سنة 20 هـ - 640 م) فحررت المظلومين من القهر الحضاري والديني الذي فرضه الغرب الروماني على الشرق لأكثر من عشرة قرون.

* ولقد شهد بهذا التحرير الإسلامي - للأوطان.. والضمان.. والعقائد - كل الذين شهدون، ونعموا بآثاره في العدل والحرية والأمن والأمان.. وكل الذين درسوه، بحياد وإنصاف.. فكتب شاهد العيان، الأسقف الأرثوذكسي - أسقف "نقيوس" - "يوحنا النقيوسي" يقول: "إن الله، الذي يصون الحق، لم يمهل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين - (العرب المسلمين).. ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.. وكان هرقل حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات.. وكان عمرو - (بن العاص) - يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها طوال الأيام.. ودخل الأنبا "بنيامين" - بطريرك المصريين - مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم في العام 13 - (أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه) - وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا "كيرس" - (البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية في مصر) - .. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.. وخطب الأنبا "بنيامين" - في دير "مقاريوس" - فقال: "لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهاد والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون.." (4)

* ولقد جدد هذه الشهادة - بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامي - الأسقف "ميخائيل الأكبر" Michael the Elder (1126 - 1199 م) بطريق أنطاكية اليعقوبي - فقال: "إن إله الانتقام، الذي تفرد بالقوة والجبروت، والذي يذيل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها.. ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وآذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام.." (5)

* ومن علماء الغرب، الذين شهدوا لتحرير الفتوحات الإسلامية أوطان الشرق وضمان شعوبه، العلامة سير توماس أرنولد (1864 - 1930 م) الذي قال: